



ينـشـأ الطـفـل بـنـفـسـيـة مـؤـهـلـة لـلـتـشـكـيل وـالـتـكـوـين، يـؤـثـر فـي تـكـوـينـهـا وـتـشـكـيلـهـا مـؤـثـراتـ عـدـة، مـنـ أـهـمـهـا الـبـيـئة الـنـفـسـيـة الـمـحـيـطـةـ بـهـ، وـالـبـيـئة الـتـرـبـيـةـ الـتـيـ تـحـيـطـهـ بـرـعـابـتهاـ، وـسـلـوكـيـاتـ الـوـالـدـيـنـ تـجـاهـهـ وـتـجـاهـ غـيرـهـ، وـالـمـعـلـومـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـتـيـ يـبـثـهـاـ الـمـرـبـونـ فـيـهـ وـيـقـنـعـونـهـ بـهـاـ وـغـيرـ ذـلـكـ..

وـتـحـتـاجـ شـخـصـيـةـ الطـفـلـ عـادـةـ لـتـلـبـيـةـ اـحـتـيـاجـاتـهاـ بـصـورـةـ فـورـيـةـ، وـإـذـ تـكـثـرـ اـحـتـيـاجـاتـهاـ وـطـلـبـاتـهاـ تـبـعـاـ لـتـعـرـفـهـاـ عـلـىـ اـشـيـاءـ جـدـيـدةـ وـاـكـشـافـهـاـ لـمـطـالـبـ جـدـيـدةـ، فـهـيـ تـكـادـ تـنـتـنـقـلـ بـيـنـ مـطـالـبـ وـمـطـلـبـ، وـكـلـمـاـ اـسـتـجـيبـ لـهـاـ فـيـ شـيـءـ، بـحـثـتـ عـنـ شـيـءـ آـخـرـ وـهـكـذـاـ!!ـ قدـ يـكـوـنـ هـذـاـ السـلـوكـ مـعـتـادـاـ مـنـ طـفـلـ صـغـيرـ، لـكـنـهـ يـصـيرـ مـسـتـدـعـيـاـ لـلـتـدـخـلـ الـتـرـبـيـيـ العـلـاجـيـ عـنـدـمـاـ يـعـتـادـهـ الطـفـلـ لـمـدـةـ طـوـيـلـةـ، قدـ يـصـيرـ بـعـدـهـ كـأـنـهـ صـفـةـ لـهـ.

هـذـاـ النـمـوذـجـ مـنـ الـطـلـبـ، تـعـمـمـهـ نـفـسـيـةـ الطـفـلـ عـلـىـ مـاـ يـحـيـطـهـ مـنـ أـشـيـاءـ، بـلـ وـاـحـتـيـاجـاتـ نـفـسـيـةـ أـيـضـاـ، فـلـوـ اـعـتـادـ الطـفـلـ تـلـبـيـةـ مـطـالـبـهـ الـتـيـ يـرـجـيـهـاـ كـلـهـاـ دـائـمـاـ بـشـكـلـ سـهـلـ مـيـسـورـ، لـتـعـرـضـ أـثـنـاءـ حـيـاتـهـ لـاضـطـرـابـاتـ مـخـلـفـةـ عـنـدـمـاـ يـعـسـرـ عـلـيـهـ وـجـودـ حـاجـاتـهـ، أـوـ يـعـاقـعـ عـنـهـ، أـوـ يـمـنـعـ مـنـهـ، أـوـ حـتـىـ عـنـدـمـاـ يـحـتـاجـ لـلـوـصـولـ إـلـيـهـ جـهـداـ أـوـ عـمـلـاـ أـوـ بـذـلـاـ أـوـ تـضـحـيـةـ.

كـذـلـكـ لـوـ تـعـرـضـ هـذـاـ الطـفـلـ لـلـمـنـعـ دـائـمـاـ مـاـ يـرـيدـ مـنـ حـاجـياتـهـ وـمـطـالـبـهـ، لـتـعـرـضـ لـاضـطـرـابـاتـ مـخـلـفـةـ، تـؤـثـرـ عـلـىـ شـخـصـيـةـ، فـتـعـرـضـ شـخـصـيـةـ لـأـمـرـاـضـ مـثـلـ الشـحـ، وـالـبـخـلـ، وـالـأـنـانـيـةـ، وـحـبـ الذـاتـ، وـالـنـفـعـيـةـ وـغـيرـهـاـ.

الـنـظـرـةـ الـتـرـبـيـةـ الـعـلـاجـيـةـ وـضـعـتـ رـؤـيـةـ مـقـنـنـةـ تـواـزنـ بـيـنـ العـطـاءـ وـالـمـنـعـ، وـتـؤـطـرـ مـنـهـجـاـ يـرـاعـيـ تـكـوـينـ الـأـبـنـاءـ وـحـاجـاتـهـمـ مـنـ جـهـةـ، مـعـ ضـبـطـ ذـلـكـ وـتـنـمـيـتـهـ وـتـوـظـيـفـهـ إـيجـابـيـاـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـيـ بـحـيثـ يـصـيرـ هـنـاكـ تـنـاغـمـ بـيـنـ العـطـاءـ وـالـمـنـعـ.

وـلـكـيـ نـسـتـطـيـعـ فـهـمـ الـمـسـأـلـةـ فـلـنـجـرـدـ الرـؤـيـةـ، فـلـيـسـ مـاـ يـعـطـيـ هـنـاـ مـطـلـوـبـاـ لـذـاتـهـ، وـلـاـ مـاـ يـمـنـعـ مـطـلـوـبـاـ لـذـاتـهـ، بـلـ هـمـ مـطـلـوبـانـ كـعـنـصـرـ فـيـ أـسـلـوبـ تـرـبـيـيـ لـبـنـاءـ الـشـخـصـيـةـ، وـتـكـوـينـ نـفـسـيـةـ الطـفـلـ، وـبـنـاءـ أـخـلـاقـهـ.

فـنـحنـ نـعـطـيـ الـأـبـنـاءـ، كـحـقـ مـنـ حـقـوقـهـمـ عـلـيـنـاـ، وـوـاجـبـ تـجـاهـهـمـ، وـثـوابـ شـرـعـيـ إـيمـانـيـ، وـوـرـحـمـةـ وـضـعـهاـ اللـهـ سـبـحـانـهـ فـيـ قـلـوبـنـاـ تـجـاهـهـمـ، كـمـاـ نـمـنـعـهـمـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ تـعـلـيـمـاـ لـهـمـ أـنـ لـكـلـ شـيـءـ قـانـونـاـ، وـأـنـ الـأـمـورـ لـاـ تـجـرـيـ بـمـجـرـدـ الـطـلـبـ، وـأـنـ الـعـمـلـ وـالـجـهـدـ أـسـاسـ الـكـسـبـ وـالـتـحـصـيـلـ، وـأـنـ الـعـدـلـ قـيـمـةـ كـبـرـىـ مـنـ قـيـمـ الـحـيـاةـ يـجـبـ الـالـتـزـامـ بـهـ، وـأـنـهـ يـجـبـ إـلـمـعـانـ وـالـتـفـكـيرـ قـبـلـ طـلـبـ الـأـشـيـاءـ، فـلـيـسـ كـلـ مـاـ تـرـغـبـهـ النـفـسـ حـسـنـ لـهـ وـلـاـ مـفـيدـ، فـقـدـ تـشـتـهـيـ النـفـسـ مـاـ يـضـرـهـاـ فـيـ الـدـنـيـاـ أـوـ الـآـخـرـةـ وـأـوـ فـيـهـمـاـ مـعـاـ.

مـنـ هـنـاـ كـانـتـ الـحـكـمـةـ الـتـرـبـيـةـ الـعـلـاجـيـةـ تـقـتـضـيـ أـنـ يـكـوـنـ عـطـاؤـنـاـ لـأـبـنـائـنـاـ قـائـمـاـ عـلـىـ اـعـتـارـ ماـ سـبـقـ مـنـ مـعـانـيـ وـغـيرـهـاـ أـيـضـاـ مـنـ الـمـعـانـيـ إـيمـانـيـةـ الـتـيـ عـلـمـهـاـ لـنـاـ الـمـنـهـجـ الـتـرـبـيـيـ إـلـسـلـامـيـ.

فالعطاء يجب ألا يقتصر على العطاء المادي، بل إن العطاء المعنوي مقدم عنه، ومطلوب يسبقه، فإيصال معاني المحبة والمودة لأبنائنا مقدم على عطاء المادة، وهو مسبب مهم في بناء شخصية مستقيمة رقيقة حليمة رحيمة، وكم أكد النبي صلى الله عليه سلم على هذا المعنى كثيراً، لدرجة استنكاره على من لم يقبل أطفاله ويرفق بهم قائلاً "من لا يرحم لا يُرحم" أخرجه البخاري.

كما أن العطاء يجب أن يكون مرتبطاً بالقناعة والرضا، فيتعلم الأبناء أن يقنعوا بما أوتوا، مهما كان قليلاً، وأن يرضوا بما حصلوا وأخذوا، فقيمة القناعة والرضا هنا سبب مؤثر في بناء شخصية عادلة متوازنة هادئة بعيدة عن الحقد والحسد والغل.

على جانب آخر فإن المنع يجب أن يكون مبرراً، لئلا يستشعر الطفل بحالة سلبية من سلوك أبيه في منعه له مما يحبه أو يريده أو يطلب، فيفضل هنا أن نبرر سلوك المنع بمبررات مفهومة واضحة، كالمنع للضرر، والمنع للعقوبة، والمنع لعدم التدليل والمنع في بعض الأحيان لعدم القدرة أو لضيق الحال.. وغيرها.

كذلك يمكننا تبرير المنع عن طريق وضع قواعد قيمية يتربي عليها الأبناء، نضبط سلوكهم على اعتبارها، كاعتبار العدل بين الأخوة، فلكل حق، ولا يُقبل التعدي، وكرفض التبذير والإسراف، فالشراء ينبغي أن يكون بهدف نافع، لا لمجرد الرغبة.. وهكذا

وعندما نستطيع أن نبني قيمًا شخصية لدى الأبناء فيما يخص العطاء والمنع (فيقنع بما أخذ، ويزهد في الكثير، ويرضى بالقليل، ولا يتطلع لما في أيدي غيره، ويستطيع ضبط نفسه فيما أشتته، وفيما رغب، ويستطيع منع نفسه عن بعض ما يستطع الحصول عليه بسبب يراه صحيحاً، أو لمبدأ أو قيمة صائبة) فإننا عندئذ نكون خطونا خطوات صحيحة في هذا السبيل...

وللحديث بقية إن شاء الله

المسلم

المصادر: